المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العدد 13 A آيار 2024
No.13A May 2024

الاسلوب القصصي في القران الكريم (الفساد والمفسدين انموذجا)

الباحثة هبه قاسم زويد الموسوي
ماجستير علوم قرآنية من جامعة الاديان والمذاهب الايرانية
idysufhdixchhgf@gmail.com
07817005640
مصطفى خليل فليح العنبكي
ماجستير علوم قرآنية من جامعة الاديان والمذاهب الايرانية
mostafa15khalil1991@gmail.com
07732614485

ملخص
لم يعتمد القرآن الكريم أسلوباً واحداً لإيصال رسالته إلى الناس، بل تعددت أساليبه وتنوعت، فهو حيناً يعتمد أسلوب الحوار، وحيناً آخر يعتمد أسلوب ضرب المثل، وتارة يعتمد أسلوب التربية النفسية والتوجيه الخلقي، إلى غير ذلك من الأساليب التي لا تخفى على من تأمل وتدبر كتاب الله العزيز. وأسلوب القصة من الأساليب التي اعتنى القرآن الكريم بها عناية خاصة؛ لما فيها من عنصر التشويق، وجوانب الاتعاظ والاعتبار. قال اللهُ تعالى : (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) الأعراف176 . القرآن معجزة الإسلام الخالدة، تحدّى العالم في الإتيان بمثله، وعجزت العرب بكل أدبائها وشعرائها وما كانت تفخر به من القدرة على البيان وصناعة الكلام عن تحدي هذا القرآن والإتيان بآية واحدة مثل القرآن. وفي القرآن أساليب متعددة من البيان، وأكثر هذه الأساليب تأثيراً في النفوس هو الأسلوب القصصي وقد قال تعالى: "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ" يوسف3. وقد اجبنا في هذا البحث عن فائدة القصة ولماذا استخدم القرآن أسلوب القصص؟ فقد ذكر العلماء فوائد عديدة من اعتماد القرآن على أسلوب القصة بل والإكثار منه. ويهدف البحث إلى بيان صفات المفسدين في القرآن الكريم، وقد تناولت فيه التعريف الفساد، وأساليب القرآن الكريم في بيان مظاهر الفساد، وأسلوب القرآن في بيان مظاهر الفساد والمفسدين، ونماذج قرآنية للفساد والمفسدين، وعاقبة الفساد والمفسدين في القرآن الكريم.
الكلمات المفتاحية: الفساد، المفسدون، القرآن،القصص.

The narrative style in the Holy Qur’an (corruption and corruptors as an example)

Researcher Heba Qasim Zuwaid Al-Moussawi
Master of Qur’anic Sciences from the Iranian University of Religions and Sects
idysufhdixchhgf@gmail.com
07817005640

Mustafa Khalil Falih Al-Anbaki
Master of Qur’anic Sciences from the Iranian University of Religions and Sects
mostafa15khalil1991@gmail.com
07732614485

Abstract
The Holy Qur’an did not adopt a single method to convey its message to people. Rather, its methods were many and varied. Sometimes it adopted the method of dialogue, at other times it adopted the method of setting an example, and at other times it adopted the method of psychological education and moral guidance, and other methods that are not hidden from those who meditate and contemplate the book. Dear God. The story style is one of the styles that the Holy Qur’an paid

special attention to. Because of the element of suspense, and aspects of preaching and consideration. God Almighty said: (So tell the stories that they may reflect) Al-A'raf 176. The Qur'an is the eternal miracle of Islam. It challenged the world to come up with something similar to it, and the Arabs, with all their writers and poets and the ability to articulate and speak, were proud of them, were unable to challenge this Qur'an and come up with a single verse like the Qur'an. There are multiple methods of explanation in the Qur'an, and the most influential of these methods on people is the narrative method. God Almighty said: "It is We narrate to you the best of stories by what We have revealed to you this Qur'an." Joseph 3. In this research, we have answered the benefit of the story and why did the Qur'an use the method of stories? Scholars have mentioned many benefits of the Qur'an relying on the story style, and even a great deal of it. The research aims to explain the characteristics of corruptors in the Holy Qur'an. It discusses the definition of corruption, the methods of the Holy Qur'an in explaining the manifestations of corruption, the method of the Qur'an in explaining the manifestations of corruption and corruptors, Quranic models of corruption and corruptors, and the consequences of corruption and corruptors in the Holy Qur'an.

Keywords: corruption, corruptors, the Qur'an, stories.

هدف البحث:

معرفة الهدف المحوري الرئيسي من تبني الأسلوب القصصي في القرآن الكريم وهو تربية البشرية على ضوء النهج الإلهي وهدايتها باتجاه طريق الفطرة المنتهي إلى الإيمان الأكيد بالله تعالى، أما ما سنذكره من أهداف وأغراض أخرى فهي أهداف وأغراض فرعية ثانوية تصب في النهاية في الهدف الرئيسي الذي ذكرناه، وتعمل على تحقيقه والوصول إليه، وعلى هذا فإننا سوف لا نذكرها على أساس أنها أهداف مستقلة عن الهدف الرئيسي، كما أن ذكرنا لها هو من باب المثال لا الحصر، وإلا فإن أغراض القصة لا يمكن أن تحدد برقم معين ما دام السلوك الإنساني نفسه متشعباً إلى درجة عدم استطاعة الإنسان الإحاطة به.

منهج البحث:

تقسيم أغراض القصة القرآنية إلى مجموعتين رئيستين تنضوي تحتها الأغراض الفرعية الأخرى، هما الأغراض الموضوعية والأغراض التربوية لعرفة الهدف من تبني القرآن الكريم الاسلوب القصصي.

خطة البحث : يقسم البحث الى مقدمة ومبحثان وخاتمة والمصادر والمراجع وذلك على النحو الاتي :

المبحث الاول\ ويشمل ثلاث مطالب : المطلب الاول : تعريف القصة في اللغة والقرآن الكريم

المطلب الثاني يشمل: الصدق والواقعية في القصة القرآنية والمطلب الثالث يشمل : أهمية ذكر القصة في القرآن الكريم . المبحث الثاني\ ويشمل ثلاث مطالب : المطلب الاول : : المفهوم القرآني للفساد والإفساد وبيان صفات المفسدين في القرآن الكريم. المطلب الثاني : عاقبة الفساد وعقوبة المفسدين . المطلب الثالث : صور ومظاهر الفساد والإفساد في الأرض.

مقدمة:

إن القرآن الكريم هو المدرسة الإلهية المفتوحة على مر الأزمان لتخرج المؤمنين والأتقياء والصالحين والأولياء، ينهل من نوره من أراد، يخاطب الناس جميعاً على اختلاف قدراتهم العلمية وقابلياتهم الذهنية. والقصص هو أحد الأساليب القرآنية لإيصال النور والهداية إلى العقول والقلوب، تتميز بقوتها وتأثيرها

وإمكانية الاستفادة منها وإدراكها وايصال أهدافها إلى جميع أفراد الإنسان. وهذا البحث يتعرض لمجموعة من القصص القرآنية لبيان أهدافها وشرح مفرداتها والاضاءة على مفاهيمها، وخاصة فيما يخص الفساد والمفسدين .وتعتبر القصة أشد أثرا في النفس وإنّ القرآن نزل للتأثير على النفوس، وما من شيء أشد أثراً على النفوس من هذا الاسلوب اقصد أسلوب القصة، ولذا اعتمد القرآن على إيراد الموعظة بنحو القصة. وذلك لأن القصة تعطي دليلا حسيا ملموسا لمن يسمعها، فتكون أشد وقعا في النفس، وفي قصص الماضين عبرة إن الإنسان إنما بدأ يتدرج في مراتب الرقي والحضارة من خلال اعتماده على تجارب الماضين من آبائه وأجداده، فتلافى ما وقعوا فيه من أخطاء، وعمل على تطوير ما توصلوا إليه من تجارب. والتاريخ مرآة تنعكس عليها جميع ما للمجتمعات الإنسانية من محاسن ومساوئ ورقي وانحطاط والعوامل لكل منها. وعلى هذا فإن مطالعة تاريخ الماضين تجعل عمر الإنسان طويلا بقدر أعمارهم حقا، لأنها تضع مجموعة تجاربهم خلال أعمارهم تحت تصرفه واختياره، وان اسلوب القصة سهل ومفهوم القصة والتاريخ مفهومان عند كل أحد، على خلاف الاستدلالات العقلية، فإن الناس في مستوى الإدراك ليسوا سواسية. وعلى هذا فإن الكتاب الشامل الذي يريد أن يستفيد منه البدوي والأمي... إلى الفيلسوف والمفكر والمتمدن، يجب أن يكون معتمدا على التاريخ والقصص والأمثلة

(المبحث الاول)

المطلب الاول: تعريف القصة في اللغة والقرآن الكريم

معني القصة في اللغة:

أصل القصة في اللغة: المتابعة، وذلك أن القاص يتبع الخبر بعضه بعضا، قال تعالي "(وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) [١]. أي تتبعي أثره. وقال تعالي" (فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً) [٢]. أي رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر.

والقص: البيان. قال تعالي: "(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) [٣] ... أي نبين لك أحسن البيان. ومنه قوله تعالي:" (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [٤]. وقوله تعالي: "(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) [٥]

والقصة: بالكسر الأمر والحديث والخبر. كالقصص بالفتح، وتجمع علي قصص بالكسر كعنب. وجمع الجمع أقاصيص.

---

(١) سورة القصص: آية ١١.
(٢) سورة الكهف: آية ٦٤.
(٣) سورة يوسف: آية ٣.
(٤) سورة الأعراف: آية ١٧٦.
(٥) سورة غافر: آية ٧٨.

والقصص بالفتح بمعني الخبر المقصوص وضع موضع المصدر حتي صار أغلب عليه [١].

ومما تقدم يتبين لنا: أن القصص معناه المتابعة كما أكد هذا المعني القرآن الكريم. كما أن هذه المتابعة لا تكون إلا عن طريق البيان وسرد الأحداث بصدق وروايتها علي وجهها. ويؤيد ذلك أن القصص بمعني القطع. فأنت حينما تقص الحديث تقطع بصحته. دون زيادة أو نقصان. كما أنه يمكن أن نستدل بهذا المعني اللغوي علي أن القصة لا تكون قصة في أصل وضعها إلا إذا قطع بصحتها. فليس فيها مجال للكذب والخيال.

وبهذا تري أن القصة في أصل اللغة العربية حقيقة واقعة. لأن القاص تتبع الأثر، وأتي به مستوعباً كل وجوه الصحة والصدق فيه.

معني القصة في القرآن الكريم:

وعلي هذا المعني اللغوي جاء معني القصة في القرآن الكريم، قال تعالي "(إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ) [٢]. أي الخبر الصادق. وقال تعالي: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ) [٣] .. (نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ) [٤] .
فالقصص القرآني في اصطلاح العلماء بالقرآن الكريم هو:

"إخبار الله عما حدث للأمم السابقة مع رسلهم، وما حدث بينهم وبين بعضهم، أو بينهم وبين غيرهم أفراداً وجماعات، من كائنات بشرية أو غير بشرية، بحق وصدق، للهداية والعظة والعبرة"[5].

وذلك كقصص آدم ونوح وإبراهيم وموسي وعيسي وداود وسليمان ولقمان وذي القرنين .... إلي غير ذلك من القصص المذكور في القرآن الكريم.

---

(١) أنظر تاج العروس صـ ٤٥٠٧، الصحاح جـ ٣ ص ١٠٥١، مختار الصحاح ص ٥٣٨، والمصباح المنير ص ٦٩٣.
(٢) سورة آل عمران: آية ٦٢.
(٣) سورة الكهف: آية ١٣.
(٤) سورة القصص: آية ٣.
(5) د. عبد الباسط بلبول - القصص القرآني ص ٣٦.

المطلب الثاني: الصدق والواقعية في القصة القرآنية

القصص القرآني كله حق وصدق، لا كذب فيه ولا افتراء. ولا مجال فيه للخيال أو الوهم لأنه من كلام الحكيم الخبير: (تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) [١]، (نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [٢]. ذلك أن من القصص البشري ما يحكي واقعاً ويصور حقائق ثبت وجودها ومنه ما هو نسج خيال مؤلفه. والقصص الخيالي إنما يلجأ إليه من أعوزته الحقائق أو عجز عن تصويرها تعالي الله عن ذلك علوا كبيراً [٣].

والحقيقة التى لا ريب فيها أن القصة في القرآن الكريم بنيت بناء محكماً علي الحقائق الثابتة الخالصة من زخرف القول وباطله ونسج الخيال. وأسست علي الحق والصدق والواقع. ولم يكن للخيال أو الوهم أو المبالغة مدخل إليها. قال تعالي: (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [٤]. فهو قصة وقعت في غابر الأزمان بأشخاصها وأحداثها وزمانها ومكانها وملابساتها ثم يجئ القرآن الكريم فيقصها أحسن القصص. أسلوبا محكماً. وعرضا معجزاً. وحقا ثابتا. ويصور الحقائق بصدق مصفي من كل شائبة فيها تغيير أو تحريف للحقيقة والواقع [٥]: (وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً) [٦].

هذا. ولما كانت القصة القرآنية إحدي الأساليب التى اهتم بصوغها القرآن الكريم فقد حاول المستشرقون وأعداء الإسلام أن يشككوا في صدق القصص القرآني وأنه مخالف للتاريخ. وأوردوا شبهات واعتراضات لا أساس لها ولا دليل عليها يدفعهم لذلك الحقد والتعصب لمعتقداتهم محاولين بذلك زعزعة ثقة المسلمين في كتابهم المعجز ومصدر دينهم.

وإذا كان هذا الأمر يبدو غريباً من المستشرقين. فإنه يكون أشد غرابة وأعظم خطراً إذا صدر عن غير واحد من المسلمين أو قل الذين ينتسبون إلي الإسلام الذين أخذوا يرددون ما يقوله المستشرقون ويروجون له. وقد تنكب هؤلاء الجادة وضلوا الطريق. إذ ظنوا أن القصص القرآني نمطا من القصص البشري المعاصر. فاتجهوا إلي المقاييس النقدية المعاصرة محاولين تطبيقها علي القصص القرآني متكلفين في ذلك شتي ضروب المنطق. وقد أغفلوا بذلك عن حقيقة واضحة وهي أن الأسلوب القرآني ينفرد بطابعه الخاص المعجز سواء في القصة أو في غيرها من فنون القول وأن كل محاولة لتطبيق المقاييس المشتهرة عليه لا ترقي إلي تفسير إعجازه الصريح.

هذا. ولما كانت القصة القرآنية إحدي الأساليب التى اهتم بصوغها القرآن الكريم فقد حاول المستشرقون وأعداء الإسلام أن يشككوا في صدق القصص القرآني وأنه مخالف للتاريخ. وأوردوا شبهات واعتراضات لا أساس لها ولا دليل عليها يدفعهم لذلك الحقد والتعصب لمعتقداتهم محاولين بذلك زعزعة ثقة المسلمين في كتابهم المعجز ومصدر دينهم.

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٥٢.
(٢) سورة القصص: آية ٣.
(٣) أنظر: اللآلي الحسان في علوم القرآن ص ٣١١، د. موسي شاهين لاشين.
(٤) سورة آل عمران: آية ٦٢.
(٥) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ص ٣٠٦، د. محمد محمود حجازي.
(٦) سورة الإسراء: آية ١٠٥.

وإذا كان هذا الأمر يبدو غريباً من المستشرقين. فإنه يكون أشد غرابة وأعظم خطراً إذا صدر عن غير واحد من المسلمين أو قل الذين ينتسبون إلي الإسلام الذين أخذوا يرددون ما يقوله المستشرقون ويروجون له. وقد تنكب هؤلاء الجادة وضلوا الطريق. إذ ظنوا أن القصص القرآني نمطا من القصص البشري المعاصر. فاتجهوا إلي المقاييس النقدية المعاصرة محاولين تطبيقها علي القصص القرآني متكلفين في ذلك شتي ضروب المنطق. وقد أغفلوا بذلك عن حقيقة واضحة وهي أن الأسلوب القرآني ينفرد بطابعه الخاص المعجز سواء في القصة أو في غيرها من فنون القول وأن كل محاولة لتطبيق المقاييس المشتهرة عليه لا ترقي إلي تفسير إعجازه الصريح.

ومن هؤلاء الدكتور محمد أحمد خلف الله صاحب كتاب "الفن القصصي في القرآن الكريم" وهذا الكتاب في الأصل كان رسالة دكتوراه أشرف عليها وقدم لها وناضل من أجلها الأستاذ أمين الخولي وقال في مقدمة الطبعة الثالثة لها مادحاً الدكتور خلف الله ومثنيا عليه "أنه من الذين آمنوا بالعلم، وآمنوا بالحق، وآمنوا بالتطور ... فمضوا يدرسون القرآن كتاب العربية الأكبر دراسة فنية متجددة مستفيدين من التقدم الفني والعقلي والاجتماعي، فانتهوا بذلك إلي أن قدموا التفسير الأدبي خطوة للأمام بعيدة الأثر، خطوة حسبها أن تمنع ازدواج الشخصية في المتدين، ذلك الازدواج الذي يتجلي حين يدين مثقف بالإسلام واثقا موقنا، ثم يدرك ويقرر: أن"

الإسلام وكتابه القرآن، يحدث عن الأشخاص والواقعات بما يشاء، ويستغلها في ترويج الدعوة الإسلامية كما يشاء دون أن يكون ذلك حقا ملزماً للمؤمنين .... [١]

والحق أن هذه الرسالة مليئة بالأخطاء والأباطيل والطعن في القرآن الكريم وقصصه.

وقد تلقفها بعض المستشرقين ومن علي شاكلتهم بالإعجاب والتقدير "ورأوا فيها محاولة جديدة للنهضة بالتفسير وجهداً جاداً لتخليص القصص القرآني من العنصر التاريخي. وتأثراً مؤكداً بالنظريات الغربية في علم النفس والاجتماع [٢]."

وقد قوبلت هذه الرسالة في مصر بما تستحق من نقد وتفنيد. وتصدي لها العلماء يردون علي ما فيها من افتراءات وضلالات.

حتي إنهم حكموا عليه بالكفر والزندقة - وصارت - هذه الرسالة مثلا علي ضلال المنهج الذي يتبعه التخبط في نتائج غير مسددة [٣].

هذا وقد عرض كثير من العلماء لآراء المؤلف عرضا دقيقاً أتوا فيه علي كل ما احتواه الكتاب من آراء وأفكار وبينوا الخطأ المنهجي الذي وقع فيه المؤلف وترتبت عليه بعد ذلك كثير من أحكامه المتعسفة وآرائه الشاذة التى تنفي الصدق عن أخبار القرآن الكريم. ذلك أنه أخضع القصة القرآنية لمقاييس القصة الأدبية بمفهومها العصري الحديث. ونسي أو تناسي أن القصة في اصطلاح القرآن الكريم [٤]. تختلف عن القصة في الاصطلاح الأدبي الحديث "فنقطة الخطأ الأولي في منهج المؤلف"

---

(١) انظر الفن القصصي في القرآن الكريم ص (د) من المقدمة، ط ٣٠.
(٢) اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث ص ٢٧٩، د. عفت الشرقاوي.
(٣) انظر المرجع السابق صـ ٢٧٩.
(٤) انظر موضوع القصة في اللغة والقرآن الكريم من هذا البحث.

تكمن في هذا الخلط بين القصص باصطلاحه القرآني الأصيل. وبين القصص باصطلاحه الأدبي الحديث. وإنه لمن التعسف أن نحمل كلمات أي نص قديم ظلالا جديدة لا تصدر عنها ولا تمت إليها بصلة [١].

إن الحقيقة التي لا شك فيها أن مقاييس النقد القصصي تتغير وتتبدل وذلك مما يجعلها ذات خطر كبير إذا طبقت علي القرآن الكريم الذي يتغير إعجازه ولا تختلف روعته باختلاف الأجيال والأزمان.

والدليل علي ذلك أن الدارسين للقصة مكثوا زمنا طويلاً يعتقدون أن القصة المثلي تتكون من الغرض والعقدة والحل. مستشهدين لذلك بما عرفوا وقرأوا لأساطين القصاص في الشرق والغرب "ثم جد وقت ينكر أن تلتزم القصة بهذا المنهج التقليدي. إذ ليس من الضروري أن يكون لكل قصة عقد تتطلب الحل عند قوم. كما أنه ليس من الضروري عند قوم أخرين أن يكون لكل قصة حل نهائي يتم به الفصل الأخير. إذ أنه من الجائز فنيا لدي هؤلاء أن تظل النهاية مفتوحة غير منغلقة ليذهب كل قارئ في تصويرها كما يشاء، فماذا نصنع إذا عمد ناقد في زمن ما إلي قصة قرآنية ليبحث عن خطواتها الثلاث محاولا اكتشافها ولم يهتد إلي خطوة منها قد يراه ناقد لاحق لا يقل عنه في مرتبته الفنية شيئاً غير ذي بال."

إن القصة القرآنية حينئذ ستكون جيدة عند ناقد دون ناقد وفق تطور مقاييسنا النقدية [٢]. وبذلك تصبح القصة القرآنية ممتازة في عصر ومنحدرة في عصر سواه تبعاً للمقاييس النقدية المتغيرة.

إن القرآن كلام الله ومن عند الله. هذه الحقيقة نحاها الدكتور خلف الله جانباً وساق القرآن سوقا ودفعه دفعا إلي ساحة الفن وحكم فيه مقاييس الفن وأخذه بمعاييره كأي كلام أدبي يصدر من كاتب أو خطيب أو شاعر. فقد استولت عليه هذه الدراسة الفنية للأدب العربي فخيل إليه أنه يستطيع أن يدخل بها علي القصص القرآني. وأن يعرضه عرضا فنياً، فأخطأ المنهج وضل الطريق وقال في قصص القرآن الكريم أقوالاً تنزع عنه صفة الصدق الذي لا ينفك عنه أبداً.

بل وأكثر من هذا ذهب إلي القول بوجود القصة الأسطورية في القصص القرآني. ونسي أنه أمام نمط من القول لا يخضع لمقاييس فنيه تروج حينا وتكسد حينا آخر. بل وأكثر من هذا ذهب إلي القول بوجود القصة الأسطورية في القصص القرآني. ونسي أنه أمام نمط من القول لا يخضع لمقاييس فنيه تروج حينا وتكسد حينا آخر.

---

(١) راجع في هذا: اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث، د. عفت الشرقاوي ص ٢٨٩ ـ ٣٠٥.

(٢) البيان القرآني ص ٢٠١، د. محمد رجب البيومي، سلسلة البحوث الإسلامية ـ السنة الثالثة ـ الكتاب الواحد والثلاثون.

فقد ذهب إلي نفي الصدق التاريخي في أخبار القرآن الكريم وقصصه. ومن ثم "يصبح العقل الإسلامي غير ملزم بالإيمان برأي معين في هذه الأخبار التاريخية الواردة في القصص القرآني. وذلك لأنها لم تبلغ علي أنها دين يتبع وإنما بلغت علي أنها المواعظ والحكم والأمثال التى تضرب للناس، ومن هنا يصبح من حق العقل البشري أن يهمل هذه الأخبار أو يجهلها، أو يخالف فيها أو ينكرها" [١].

وعلى ذلك فهو لا ينفي وجود القصة الأسطورية في القرآن الكريم. ويعتبرها تجديدا في الحياة الأدبية المكية جاء به القرآن الكريم حين بنى القصص الدينى على بعض الأساطير.

وليست له فى ذلك من الأدلة المقنعة ما يدعم رأيه، فهو لم يعرض بصورة جلية نماذج من القصص القرآني الذى انتفت عنه الواقعية التاريخية، ويثبت له خصائص القصة الأسطورية - إن كان لهذا النوع وجود في القرآن الكريم - بل اقتصر على القول بأن القرآن نفسه، لم يحرص على أن ينفي وجود الأساطير فيه وإنما حرص على أن ينكر أن تكون هذه الأساطير هى الدليل على أنه من عند محمد صلى الله عليه وسلم وليس من عند الله، فهو يقول: "وإذا كان هذا ثابتًا فإنا لا نتحرج من القول بأن فى القرآن أساطير، لأنا في ذلك لا نقول قولا يعارض نصا من نصوص القرآن[2].

"وهنا نجد تعارضًا ملموسًا فى تصويره لموقف المفسرين مما يسميه المؤلف بالقصة الأسطورية في القرآن الكريم، ويكفينا هنا أن نورد عبارتي المؤلف لتوضيح ذلك، فهو يقول مرة" لم يقل واحد من المفسرين بوجود القصة الأسطورية فى القرآن الكريم، بل على العكس نرى منهم كما نرى من بعض المحدثين نفورًا من لفظ الأسطورة ومن القول بأنها فى القرآن ولو إلى حد ما "[3]، ثم يقول مرة أخرى:" القصة الأسطورية إذا من القصص الأدبي الذى نجد من المفسرين من أجاز أن يكون موجودًا فى القرآن الكريم "[4]."

هذا وقد استدل الدكتور خلف الله على ذلك بآيات من القرآن الكريم تبين أن مشركي مكة وصفوا قصص القرآن الكريم بأنه أساطير الأولين. ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

---

(1)الفن القصصي ص ٤٥.
(2) المصدر السابق ص ١٨٠.
(3) الفن القصصي في القرآن الكريم ص ١٧١.
(4) المصدر السابق ص ١٨٠.

١ - قوله تعالى: "وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ" [١].

٢ - قوله تعالى: "وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ" [٢].

٣ - قوله تعالى: "وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً، قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً" [٣].

٤ - قوله تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ" [٤].

وأنت ترى أن صاحب الفن القصصى حينما أراد أن يستدل على دعواه بهذه الآيات قطع بين الآية وما قبلها وما بعدها من آيات تتصل بموضوع المقولة التى يقولها الكفار في القرآن بأنه أساطير الأولين.
ثم إن هذه المقولة "أساطير الأولين" لا يقصدون منها القصص القرآني وإنما يقصدون القرآن الكريم كله، بل إنهم قالوا فى القرآن ما هو أكثر من هذا فلم اقتصر على هذه المقولة؟ قالوا في القرآن: (فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ، إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ) [٥].
وقالوا في النبى صلى الله عليه وسلم: (إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ) [6]، وقالوا في القرآن الكريم: "بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ" [7].
أليست هذه المقولات وأمثالها تصدر عن موقف واحد إزاء القرآن الكريم كله، لا القصص وحده.
وانظر - مثلا - فى الآية الثالثة التي ذكرها فى استدلاله، تجد أنها انتزعت انتزاعا من بين الآيات السابقة واللاحقة، ومع أنك لو قرأتها فى سياقها منسجمة مع السابق واللاحق تجد - أنها ترد عليه ولا تؤيده: اقرأ: "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً، الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً، وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً، وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْماً وَزُوراً، وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً، قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً" [8].

---

(١) سورة الأنعام: آية ٢٥.
(٢) سورة الأنفال: آية ٣١.
(٣) سورة الفرقان: آية ٤.
(٤) سورة النحل: آية ٢٤.
(٥) سورة المدثر: آية ٢٤.
(6) سورة النحل: آية ١٠٣.
(7) سورة الأنبياء: آية ٥.
(8) سورة الفرقان: آيات ١ - ٦.

أفيكون قولهم "إن هذا إلا إفك افتراه" ، ثم قولهم "أساطير الأولين اكتتبها" متجهًا إلى القصص القرآني، أم إلى القرآن كله، وهو الفرقان الذى جاء ذكره فى أول السورة.

ثم إن الآية تحكي قول الذين كفروا فى ذلك ثم تعقب عليه بأن الذى أنزل هذا القرآن إنما هو الذي يعلم السر فى السماوات والأرض، ولا شك أن ثبوت نسبة القرآن إلى الله تعالى ما ينفي عنه قطعًا أن يكون فى قصصه أساطير، وفى هذا أبلغ بيان فى نفي زعم الأسطورة عنه، لأن الذى يعلم حقائق الأمور فى كل شئ لا يجوز له أن يحكى فى كتابه المنزل الأساطير والأباطيل على أنها هي الحق الذى لا يأتيه الباطل، إنما يقع فى هذا العلم والمعرفة من البشر الذين لا علم لهم بحقائق وأسرار الكون.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإنه ينبغى تحديد المعنى المراد من قولهم: "أساطير الأولين" فأساطير جمع الجمع لسطر وأسطر. ومفرده سطر وهو الخط والكتابة [١]، ومنه قوله تعالى: "كان ذلك فى الكتاب مسطورًا" [٢]، أى مكتوبًا فيكون المعنى: أن القرآن في زعمهم مما كتبه وسطره الأولون، ويؤيد هذا أن الذين زعموا ذلك إنما هم المشركون من العرب.

والعربي كان يتصور الأشياء كما يتوهم علقه الساذج، ولكنه لا يخترع الأساطير حولها مهما كانت عنده هذه الأشياء غامضة معقدة.

ومن هنا جاء قصصه بعيدًا عن الخيالات التى تبدو فى أكثر القرآن الميثولوجي والأساطير الشعبية لدى الأمم الأخرى، كأساطير اليونان والهنود والفراعنة، فلم يكن العرب يعرفون الأسطورة بهذا المعنى حتى يحمل عليه ما حكاه القرآن عنهم [٣].

إنه يكفينا فى الرد عليه قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ" [٤].

فإذا كان المضمون التاريخي فى القصص القرآني - كما يزعم - باطل فى الحقيقة ونفس الأمر، ألا يكون هذا معارض معارضة صريحة لمضمون هذه الآية التى تنفي إمكان أن يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وما قوله في قوله تعالى: "ألم، تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ، أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ" [5].

فقد رد الله تعالى على دعوى الافتراء بإثبات أنه هو الحق من الله، فهل يتمشى مع منطق العقل، أو أساليب البيان أن يكون حقا قد احتوى باطلا؟ وهل يصدق عليه وصف "الحق" حينئذ؟

ثم نسأل المؤلف سؤلا: إذا كان الأديب تلجئه الفكرة وضرورات الفن إلى مجاوزة الصدق فى رواية التاريخ فهل يجوز ذلك على الإعجاز القرآني؟ أليس في القرآن ما يدل على القصد إلى الإخبار التاريخي؟ وكيف يفسر المؤلف تلك الآيات التى يبدو فيها القصد إلي الإعجاز التاريخي واضحًا [6]، مثل قوله تعالى: "تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا " [7].

---

(١) انظر القاموس المحيط ج ٢ ص ٤٨.
(٢) سورة الأحزاب: آية ٦.
(٣) سيكولوجية القصة في القرآن الكريم: ص ١٦٣، د. التهامي نفرة.
(٤) سورة فصلت: آية ٤١، ٤٢.
(5) سورة السجدة: آيات ١ - ٣.
(6) اتجاهات التفسير في مصر فى العصر الحديث: ص ٢٩٥، د. عفت الشرقاوي.
(7) سورة هود: آية ٤٩.

قوله: "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ " [1].

قوله: "تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ " [2].

وقوله: "نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ " [3].

وقوله: "إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ "[4].

وقوله: "وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً" [5].

وقوله: "وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً" [6].

وقوله: "نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" [7].

وقوله: "وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ" [8].

وقوله: "وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ" [9].

وقوله: "تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ"[10].

وقوله تعالى: "لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" [11].

هذه أسئلة لا نجد لها جوابا عند المؤلف فقد تكلف الأدلة الباطلة ليزعم أن اختلاف جزئيات القصة الواحدة فى عدة مواضع تفيد الانطلاق من تحري الصدق، وهو غير صحيح، لأننا لا نرى تعارضًا بين هذا الاختلاف الجزئي وبين الصدق التاريخي، فالتفصيلات كلها قد حدثت وإنما يختار القرآن ما يتصل بالمشهد التى ترد فيه [١].

---

(1) سورة الكهف: آية ١٣.
(2) سورة البقرة: آية ٢٥٢.
(3) سورة آل عمران: آية ٣.
(4) سورة آل عمران: آية ٦٢.
(5) سورة الإسراء: آية ١٠٥.
(6) سورة الفرقان: آية ٣٣.
(7) سورة القصص: آية ٣.
(8) سورة الأحزاب: آية ٤.
(9) سورة فاطر: آية ٣١.
(10) سورة الجاثية: آية ٦.
(11) سورة يوسف: آية ١١١.
(12) اتجاهات التفسير فى العصر الحديث: ص ٢٩٦، د. عفت الشرقاوي.

وبالنظر في الآيات السابقة - وأمثالها كثير في القرآن - نجد أنها قد أثبتت أن القرآن الكريم كله حق نزل من عند الله تعالى وآياته كلها حق وقصصه كله حق، لأن الله تعالى لا يقص إلا بالحق، وهو يقص علينا قصة أهل الكهف بالحق ونبأ موسى وفرعون بالحق ووحيه كله حق وكتابه حق لا يصل إليه الافتراء والكذب بأي وجه من الوجوه كما قال تعالى: "وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ" [1].

إن الخطأ الذى وقع فيه الدكتور خلف الله وأمثاله أنه حكم التاريخ فيما جاء فى القرآن الكريم من قصص وأخبار واعتمد عليه فلما رأي أن هناك بعض التعارض بين التاريخ والقرآن نفى الصدق التاريخى عن القرآن الكريم.

وإنى لأحيل هؤلاء على ما كتبه العلامة ابن خلدون فى مطلع مقدمته المشهورة عن آفة التواريخ من خلط الحقائق بدسائس من الباطل "وهموا فيها وابتدعوها وزخارف من الروايات الضعيفة لفقوها ووضعوها واقتفي تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها وأدوها إلينا كما سمعوها" [2].

فهذا إذن شأن كثير من التواريخ القديمة غير المنضبطة فهى تهمل وتنسى وتحرف وتخدع وتتوهم.

وللأستاذ سيد قطب في هذا كلام يحسن أن أنقله على طوله ففيه خير وفائدة، يقول:

إن الباحث المنصف - علي فرض أنه - لو نظر إلى القرآن الكريم وجرده من كل قداسة دينية، ثم ينظر إليه كمصدر تاريخي بحت فماذا يجد؟؟ يجد أننا لا نملك كتابًا آخر، ولا أثرًا تاريخيا آخر فى تاريخ البشرية كلها توافرت له أسباب التحقيق العلمى البحتة كما توفرت لهذا الكتاب.

فإنه من البديهي، أننا لا نملك فى إثبات صحة الحوادث التي تحدث عنها القرآن أو عدم صحتها، إلا وسيلتين اثنتين، ولكن واحدة منهما ليست قطعية وليس لها من قوة الثبوت ما للقرآن.

أحدى الوسيلتين اللتين فى أيدينا: الأسانيد التاريخية الأخرى فإذا نحن جردنا القرآن من قداسته - كما قلت - فإنه ككتاب تاريخي يكون أقوى إسنادًا من الوجهة العلمية البحتة من كل مرجع تاريخي آخر فى الوجود، فراوي هذا الكتاب هو "محمد بن عبد الله وهو رجل يعترف خصومه قديما وحديثا بأنه رجل صادق ... وقد جمع هذا الكتاب بطريقة علمية لا يطعن فيها أحد إلا أفاك متعصب."

ومثل هذا التحقيق العلمي لم يتهيأ لكتاب آخر، لا من الكتب المقدسة ولا من الكتب التاريخية، ولا من الآثار التاريخية أيضًا، فالكتب المقدسة الأخرى قد انقضت فترات طويلة بين حياة أصحابها وعصر تدوينها ولم ترو بالإسناد الذى روى به القرآن، والكتب التاريخية والآثار التاريخية لا ترتفع فوق مستوى الشبهات، وليست هناك حادثة تاريخية واحدة فى تاريخ البشرية تعد يقينا علميا خالصًا. تاريخي إذن لا تجوز محاكمة القرآن - ككتاب تاريخي بحت - إلى أي كتاب تاريخي آخر أو أي سند ليس له من قوة الثبوت ما لكتاب القرآن.

والوسيلة الأخرى التى بين أيدينا هى العقل، ولست أتردد في التصريح بأن احترام العقل البشرى ذاته يوجب عليه أن يفسح للمجهول مجاله وأن يحسب له حسابه، لا عن طريق الإيمان الدينى، ولكن عن طريق التفكير العقلى، وإن العقل البشري ليسقط

احترامه حين يدعى أنه يعلم كل شئ، وهو لا يعلم نفسه ولا يدرى كيف يدرك المدركات [3].

---

(1) سورة يونس: آية ١٣.
(2) انظر مقدمة ابن خلدون ص ١٢ - ٥٤، المجلد الأول، ط ٣٠.
(3) انظر التصوير الفني في القرآن الكريم ص ٢٠٥، ٢٠٦، سيد قطب.

وعلى هذا فليس فيما تعرفه البشرية من يقين ما يطعن بشئ على ما ورد فى القرآن الكريم، أما الأوهام غير المثبتة فإننا ننزه القرآن الكريم عن أن يقارن بها أو يحتكم إليها فى شئ مما ورد به.

هذا، ومما تجدر الإشارة إليه أن القرآن الكريم جاء بلسان عربي مبين، والشخصيات التى وردت فى قصصه لم يكن لسانها عربيا كنوح وإبراهيم وفرعون، وأصحاب الكهف، ويوسف وأخوته، وامراة العزيز وكل الأنبياء وأقوامهم .... إلى غير ذلك من الشخصيات التى نطق عنها القرآن الكريم بلسان عربي مبين.
ففرعون مثلا نطق عنه القرآن الكريم بمقولات كثيرة كقوله: "وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ، أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ" [1].
وقوله: "وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ، أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى " [2].
وقوله لموسي عليه السلام ممتنا عليه: "قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ، وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ" [3].
فإنه مما لا شك فيه أن فرعون لم ينطق بهذه الكلمات العربية وإنما الذى نطق به هو ما تحمله هذه الكلمات من معنى وكذلك كل ما نطق به الأنبياء وأقوامهم. وأكثر من هذا الجماد والحشرات والطير ينطقها القرآن الكريم بهذا اللسان العربي المبين قال تعالى: "ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ" [4]. وقال تعالى: "حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ[5]، والهدهد يقول لسيدنا سليمان: "أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ، إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ، وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ" [6].
بدقائق الكون وأسرار الكائنات والذى يجب أن يعلم في هذا أن القرآن الكريم في قصصه يحكي مقولات المتحاورين والمجادلين والناطقين فى الحدث الذى يقصه - يحيكها - كما هي فى مضمونها ومفهومها، وإن جاءت بلسان غير لسانهم وبلغة غير لغتهم فالقرآن إذ يحكي عن قوم كانوا يتكلمون بالسريانية - مثلا - وينقل أقوالهم ومجادلاتهم فإنه يعرب عن معاني ألفاظهم ومضامين كلامهم باللغة العربية في ترجمة أمينة صادقة، كاملة لا نقص فيها ولا زيادة. وهى ترجمة دقيقة لا تحريف فيها ولا تبديل، لأنها من خالق اللغات ومن العليم.
بدقائق الكون وأسرار الكائنات والذى يجب أن يعلم في هذا أن القرآن الكريم في قصصه يحكي مقولات المتحاورين والمجادلين والناطقين فى الحدث الذى يقصه - يحيكها - كما هي فى مضمونها ومفهومها، وإن جاءت بلسان غير لسانهم وبلغة غير لغتهم فالقرآن إذ يحكي عن قوم كانوا يتكلمون بالسريانية - مثلا - وينقل أقوالهم ومجادلاتهم فإنه يعرب عن معاني ألفاظهم ومضامين كلامهم باللغة العربية في ترجمة أمينة صادقة، كاملة لا نقص فيها ولا زيادة. وهى ترجمة دقيقة لا تحريف فيها ولا تبديل، لأنها من خالق اللغات ومن العليم.
وبهذا ترى أن القصص القرآني كله حق وصدق، ولا مجال فيه للخيال والافتراء والأساطير وصدق الله إذ يقول: "وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ" [7].

---

(1) سورة الزخرف: آية ٥١، ٥٢.
(2) سورة غافر: آية ٣٦، ٣٧.
(3) سورة الشعراء: آية ١٨، ١٩.
(4) سورة فصلت: آية ١١.
(5) سورة النمل: آية ١٨.
(6) سورة النمل: آية ٣٢، ٣٣، ٣٤.
(7) سورة الإسراء: آية ١٠٥.

المطلب الثالث: أهمية ذكر القصة في القرآن الكريم

لقد جاءت القصة في القرآن الكريم لتساهم في عملية التغيير الانساني بجوانبها المتعددة، فما هي الأغراض ذات الأثر الرسالي التي استهدفتها القصة القرآنية؟

وبهذا الصدد نجد القصة القرآنية تكاد تستوعب في مضمونها وهدفها جميع الأغراض الرئيسة التي جاء من أجلها القرآن الكريم ونظرا لكثرة هذه الأغراض تشعبها نجد من المستحسن أن نقتصر في عرضنا لأغراض القصة في القرآن على الأغراض القرآنية المهمة، لنتعرف - من خلال ذلك - أهمية ذكر القصة في القرآن الكريم والفوائد التي تترتب عليها:

أ - اثبات الوحي والرسالة:

ان ما جاء به القرآن الكريم لم يكن من عند محمد (صلى الله عليه وآله) وانما هو وحي أوحاه الله تعالى إليه وأنزله هداية للبشرية. وقد نص القرآن الكريم على أن من أهداف القصة هو هذا الغرض السامي، وذلك في مقدمة بعض القصص القرآنية أو ذيلها، فقد جاء في سورة يوسف:

﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين﴾[1].

هذه الآية الكريمة وغيرها تشير إلى أن القصة انما جاءت في القرآن تأكيدا لفكرة الوحي التي هي الفكرة الأساس في الشريعة الاسلامية.

ب - وحدة الدين والعقيدة لجميع الأنبياء:

أكدت القصة أن الدين كله من الله سبحانه وان الأساس للدين الذي جاء به الأنبياء المتعددون هو أساس واحد لا يختلف بين نبي وآخر، فالدين واحد ومصدر الدين واحد أيضا وجميع الأنبياء أمة واحدة تعبد هذا الاله الواحد وتدعو إليه. وهذا الغرض من الاهداف الرئيسة للقرآن الكريم حيث يهدف القرآن من جملة ما يهدف إليه ابراز الصلة الوثيقة بين الاسلام الحنيف وسائر الأديان الإلهية الأخرى التي دعا إليها الرسل والأنبياء الآخرون، ليحتل الاسلام منها مركز الخاتمية التي يجب على الانسانية أن تنتهي إليها، ويسد الطريق على الزيغ الذي يدعو إلى التمسك بالأديان السابقة على أساس أنها حقيقية موحاة من قبل الله تعالى.

ج - تشابه طرق الدعوة والمجابهة:

من اغراض القصة بيان ان وسائل الأنبياء وأساليبهم في الدعوة واحدة وطريقة مجابهة قومهم لهم واستقبالهم متشابهة، وان القوانين والسنن الاجتماعية التي تتحكم في تطور الدعوة وسيرها واحدة أيضا، فالأنبياء يدعون إلى الاله الواحد ويأمرون بالعدل والاصلاح والناس يتمسكون بالعادات والتقاليد البالية ويصر على ذلك أصحاب المنافع الشخصية والأهواء الخاصة بشكل خاص، والطواغيت والجبابرة منهم بشكل أخص. وتبعا لهذه الاهداف ترد قصص كثيرة من الأنبياء مجتمعة مكررة فيها طريقة الدعوة على نحو ما جاء في سورة هود:(ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه: (إني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين) إلى أن يقول: (ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ان أجري الا على الله...) والى ان يقولوا له: ﴿... يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين﴾ [2].

---

(1) سورة يوسف: اية 3.

(٢) سورة القصص: اية٤٤ - ٤٦

(والى عاد أخاهم هودا قال: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان أنتم الا مفترون يا قوم لا أسألكم عليه أجرا ان أجري الا على الذي فطرني أفلا تعقلون؟) إلى قوله: ﴿قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي

آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول: الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال: إني أشهد الله واشهدوا اني برئ مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون﴾
[1].﴿والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه ان ربي قريب مجيب قالوا: يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب﴾ [2]. ومثل هذه المواقف نجدها في سورة الشعراء أيضا.

د - النصر الإلهي للأنبياء:

بيان نصرة الله لأنبيائه وان نهاية المعركة تكون في صالحهم مهما لاقوا من العنت والجور والتكذيب - كل ذلك - تثبيتا لرسوله محمد (صلى الله عليه وآله) وأصحابه وتأثيرا في نفوس من يدعوهم إلى الايمان.

وقد نص القرآن الكريم على هذا الهدف الخاص أيضا بمثل قوله تعالى:

(وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) [3].

هـ - تصديق التبشير والتحذير:

فقد بشر الله سبحانه عباده بالرحمة والمغفرة لمن أطاعه منهم وحذرهم من العذاب الأليم لمن عصاه منهم، ومن أجل ابراز هذه البشارة والتحذير بصورة حقيقية متمثلة في الخارج عرض القرآن الكريم لبعض الوقائع الخارجية التي تتمثل فيها البشارة والتحذير، فقد جاء في سورة الحجر التبشير والتحذير أولا، ثم عرض النماذج الخارجية لذلك ثانيا:

﴿نبئ عبادي أني انا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ [4].

و - اللطف الإلهي بالأنبياء:

بيان نعمة الله على أنبيائه ورحمته بهم وتفضله عليهم وذلك توكيدا لارتباطهم وصلتهم معه، كبعض قصص سليمان وداود وإبراهيم ومريم وعيسى وزكريا ويونس وموسى. ذلك أن الأنبياء يتعرضون - عادة - إلى مختلف ألوان الآلام والمحن والعذاب، فقد يتوهم السذج والبسطاء من الناس أن ذلك اعراض من الله تعالى عنهم، فيأتي الحديث عن هذه النعم والالطاف الإلهية التي شملتهم تأكيدا لعلاقة الله سبحانه وتعالى بهم، ولذلك نشاهد أن بعض الحلقات من قصص هؤلاء الأنبياء تبرز فيها النعمة في مواقف شتى، ويكون ابرازها هو الغرض الأول منها وما سواه يأتي في هذا الموضوع عرضا.

ز - عداوة الشيطان:

بيان غواية الشيطان للانسان وعداوته الأبدية له وتربصه به الدوائر والفرص وتنبيه بني آدم لهذا الموقف المعين منه، ولا شك أن ابراز هذه المعاني والعلاقات بواسطة القصة يكون واضحا وأدعى للحذر والالتفات، لذا نجد قصة آدم تكرر بأساليب مختلفة تأكيدا لهذا الغرض، بل يكاد أن يكون هذا الغرض هو الهدف الرئيس لقصة آدم كلها.

---

(1)سورة آل عمران:اية ٤٤ .
(2) سورةهود: اية ٦١ - 62.
(3) سورة هود:اية ١٢٠.
(4) الحجر: ٤٩، ٥٠.

ح - أهداف بعثة الأنبياء:

بيان أن الغايات والأهداف من ارسال الرسل والأنبياء هي من أجل هداية الناس وارشادهم وحل الاختلافات والحكم بالعدل بينهم ومحاربة الفساد في الأرض، وفوق ذلك كله هو إقامة الحجة على الناس، ولذا جاء استعراض قصص الأنبياء بشكل واسع لبيان هذه الحقائق.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الهدف من القصة في عدة مواضع:

﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه...﴾ [1].

﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما﴾ [2].

(وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون[3]

ط ـ أهداف تربوية أخرى:

وبيان أغراض آخري ترتبط بالتربية الاسلامية وجوانبها المتعددة، فقد استهدف القرآن بشكل رئيس تربية الانسان على الايمان بالغيب وشمول القدرة الإلهية لكل الأشياء، كالقصص التي تذكر الخوارق والمعاجز كقصة خلق آدم، ومولد عيسى، وقصة إبراهيم مع الطير الذي آب إليه بعد أن جعل على كل جبل جزءا منه، وقصة (... الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها...﴾ [4]. وإحياء الله له بعد موته مائة عام.

كما استهدف تربية الانسان على فعل الخير والأعمال الصالحة وتجنبه الشر والفساد، وذلك ببيان العواقب المترتبة على هذه الأفعال، كقصة النبي آدم وقصة صاحب الجنتين، وقصص بني إسرائيل بعد عصيانهم، وقصة سد مأرب، وقصة أصحاب الأخدود.

ومما استهدفه القرآن الكريم في التربية الاستسلام للمشيئة الإلهية والخضوع للحكمة التي أرادها الله سبحانه من وراء العلاقات الكونية والاجتماعية في الحياة، وذلك ببيان الفارق بين الحكمة الإلهية ذات الهدف البعيد والعميق في الحياة الانسانية والفهم الانساني للظواهر في الحياة الدنيا، والحكمة الانسانية القريبة العاجلة، كما جاء في قصة موسى التي جرت مع عبد (... من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما) [5]. إلى آخر ذلك من الأغراض الوعظية والتربوية الأخرى.

---

(١)سورة البقرة: اية ٢١٣.
(٢) سورة النساء: اية ١٦٥.
(3) سورة الانعام: اية 48.
(4) سورة البقرة: اية ٢٥٩.
(5) سورة الكهف: اية ٦٥.

(المبحث الثاني)

المطلب الاول: المفهوم القرآني للفساد والإفساد وبيان صفات المفسدين في القرآن الكريم

يأتي هذا المبحث في بيان مظاهر الفساد، وأسلوب القرآن في بيان مظاهر الفساد والمفسدين، ونماذج قرآنية للفساد والمفسدين، وعاقبة الفساد والمفسدين في القرآن الكريم. فما هو المفهوم القرآني للفساد والإفساد؟ وما هي صفات المفسدين من خلال القرآن الكريم؟ وكيف حذّر من الفساد، وبيّن أسبابه، ودواعيه وآثاره؟ وأيّ استراتيجيّة اتبعها في فضح المفسدين ومقاومتهم؟

سننطلق في إجابتنا عن هذه الأسئلة وغيرها المتعلّقة بآفة الفساد والمفسدين من محاولة تحديد مدلول مصطلح الفساد والإفساد وتبيان الفرق بينهما من خلال العودة إلى الأصل اللّغوي لكلمة «فسد» والتطرّق إلى الصّيغ المختلفة التي وردت بها في القرآن الكريم ومدلولاتها. وهذا ما سنتطرق اليه في المطلب الاول من المبحث الثاني.

فسد وأفسد لغة

فَسَدَ [ف س د]. (فعل : ثلاثي لازم). «فَسَدْتُ ، أَفْسِدُ ، اِفْسِدْ ، مصدر فَسَادُ . فَسَدَ الطَّعَامُ: أَنْتَنَ، أَيْ لَمْ يَعُدْ صَالِحاً لِلأَكْلِ. فَسَدَتْ أَخْلاَقُهُ : اِنْحَلَّتْ ، اِنْحَرَفَتْ. فَسَدَتْ أُمُورُهُمْ : اِضْطَرَبَتْ وَأَدْرَكَهَا الْخَلَلُ. فَسَدَتْ آلاَتُ الْمَعْمَلِ: أَصَابَهَا التَّلَفُ وَالْعَطَبُ وَالْخَلَلُ»[1].

والفساد: «الفاء والسّين والدّال كلمة واحدة، فسد الشّيء يفسد فساداً وفسوداً وهو فاسد وفسيد»[2]، ويقال: «قوم فَسْدَى كما قالوا ساقِطٌ وسَقْطَى، قال سيبويه جمعوه جمع هَلْكَى لتقاربهما في المعنى..وتَفَاسَدَ القومُ تدابَرُوا وقطعوا الأَرحام...، والمَفْسَدَةُ خلاف المصْلَحة، والاستفسادُ خلاف الاستصلاح...، وقالوا هذا الأَمر مَفْسَدَةٌ لكذا أَي فيه فساد. وفَسَّدَ الشيءَ إِذا أَبَارَه [3]» [4]

وقيل: الفساد خروج الشّيء عن الاعتدال، قليلا كان الخروج عنه أو كثيراً ويضاده الصّلاح ويستعمل ذلك في النّفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة[5].

أمّا «أَفْسَدَ»: [ف س د]. (فعل : رباعي لازم متعدّ). أَفْسَدَ، يُفْسِدُ ، مصدر إِفْسادٌ. ويقال : «أَفْسَدَ فلان المالَ يُفْسِدُه إِفْساداً وفَسادًا»، وأَفْسَدَ الرَّجُلُ: جاوَزَ الصَّوابَ والحِكْمَةَ، صارَ فاسِداً. أَفْسَدَ أَخْلاَقَ أَبْناءِ الحَيِّ : جَعلَها فاسِدَةً .أَفْسَدَتِ الفَوْضَى بَهْجَةَ الفَرَحِ : أَخَلَّتْ، أَساءَتْ[6].

والإفساد: فعل ما به الفساد، والهمزة فيه للجعل، أي: جعل الأشياء فاسدة، والفساد أصله تحوّل منفعة الشّيء النّافع إلى مضرّة به أو بغيره، وقد يطلق على وجود الشّيء مشتملاً على مضرّة وإن لم يكن فيه نفع من قبل. يقال: فسد الشّيء بعد أن كان صالحاً، ويقال: فاسد إذا وجد فاسداً من أوّل وهلة، وكذلك يقال: أفسد إذا عمد إلى شيء صالح فأزال صلاحه، ويقال: أفسَدَ إذا أوجد فساداً من أوّل الأمر.[7].

---

(1) معجم الغنيّ-موقع «www.almaany.com»
(2) معجم مقاييس اللّغة - ابن فارس - ص 7
(3) أبار الشيء إذا أهلكه أو أفسده. انظر: لسان العرب ـ ابن منظور - ج 4 ص86
(4) لسان العرب ـ ابن منظــور ـ مجلد عـدد 3 - ص 335 - 336
(5) انظر: مفردات ألفاظ القرآن الراغب الأصفهاني: ص636.
(6) معجم الغنيّ-موقع «www.almaany.com»
(7) تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير(284/1)

هناك فرق واضح بين الفعل الثلاثي «فسد» والرباعي «أفسد» وبالتالي بين «الفاسد» و«المفسد»، وبين«الفاسدين» و«المفسدين»، وبين «الفساد» و«الإفساد». نقول في الثلاثي: فسد يفسد فساداً، فهو فاسد، وهم فاسدون. والفساد هو الشرّ والسّوء وارتكاب ما يخالف الفطرة، والفاسد هو الإنسان الذي يقوم بالأفعال القبيحة والمنكرة والباطلة التي تخالف فطرة الله التي فطر عليها النّاس جميعا. ونقول في الرّباعي: أفسد يُفسد إفساداً، فهو مُفسد، وهم مفسدون . والإفساد هو التّخريب ونشر الرّذائل ومحاربة الإصلاح والمفسد هو الذي يخرّب وينشر الرّذائل وبالتالي فهو كلّ من يحارب الإصلاح، والمفسدون هم الذين يقومون بهذه الأفعال التّخريبيّة المدمّرة لصلاح الأرض ومن فيها. فكيف عالج القرآن الكريم هذا الاختلاف؟

المطلب الثاني: عاقبة الفساد وعقوبة المفسدين

ذكرت العديد من الآيات عقوبة المفسدين في الدنيا والآخرة. وقد تكرّر التذكير للمؤمنين بعاقبة أهل الفساد أكثر من مرّة حيث قال تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[1] وما هذا التذكير إلّا لنعلم خطورة الفساد والإفساد وسوء عاقبته. وقد ضرب الله سبحانه وتعالى للناس في كتابه مثلاً عن عاقبة بعض من هؤلاء كفرعون وملئه حيث قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُواْ بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾، وقد أنذرهم الله تعالى أكثر من مرّة إلا أنّهم لم يعتبروا، يقول تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ فلمّا رأوا هذه البلاءات والمصائب تنزل عليهم بسبب ظلمهم قالوا : ﴿يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ﴾[2].وكانت العاقبة أليمة، إذ أفضت إلى هلاك فرعون ومن معه وتحطّم قدرتهم وزوال شوكتهم؛ لأنّهم حاربوا الله وكانوا من المفسدين.

عقوبة الدنيا

وعقوبة المفسدين في الأرض المحاربين لله ولرسوله - إن كان هناك حكومة إسلاميّة – أحد أمور أربعة بيَّنها الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[3]. فقد ذكرت الآية الكريمة عقوبات أربعاً: التقتيل والتصليب والتقطيع والنفي. و المرويّ عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام أنّ الحدود الأربعة مترتبة بحسب درجات الإفساد؛ كمن شهر سيفاً فقتل النفس وأخذ المال أو قتل فقط أو أخذ المال فقط أو شهر سيفاً فقط.

1- سورة النمل، الآية: 14.
2- سورة الأعراف، الآيات: 134 - 136.
3- سورة المائدة، الآية: 33.

عن أبي الحسن الرضا عليه السلام حينما سُئل عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ...﴾ فما الّذي إذا فعله استوجب واحدة من هذه الأربع؟ فقال: "إذا حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً فقتل قتل به، وإن قتل وأخذ المال قتل وصلب، وإن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله من خلاف، وإن شهر السيف فحارب الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً ولم يقتل ولم يأخذ المال نفي من الأرض". قلت: كيف ينفى من الأرض وما حدّ نفيه؟ قال: "يُنفى من المصر الّذي فعل فيه ما فعل إلى مصر غيره، ويكتب إلى أهل ذلك المصر أنّه منفيّ فلا تجالسوه ولا تبايعوه ولا تناكحوه ولا تؤاكلوه ولا تشاربوه فيفعل ذلك به سنة فإن خرج من ذلك المصر إلى غيره كُتب إليهم بمثل ذلك حتّى تتمّ السنة"، قلت: فإن توجّه إلى أرض الشرك ليدخلها؟ قال: "إن توجّه إلى أرض الشرك ليدخلها قوتل أهلها"[4]. وما تقدّم يظهر كيف يحارب الإسلام المفسدين وينال منهم في الدنيا قبل أن يردوا إلى الله تعالى فيجازيهم بما هم أهله من العذاب والنقمة. أما عقوبة الآخرة فهي :

العذاب، واللعنة، وسوء الدار: جهنّم

رتّب الله تعالى على الفساد عقوبةً عظيمة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾[5].

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[6]. فما أشدّ هذا العقاب بأن يطرد إنسان من رحمة الله سبحانه ويرث النار الّتي وقودها الناس والحجارة، ويحشر مع أراذل البشر ويكون في جهنّم معهم، نعوذ بالله من عقابه ونسأله المغفرة.

عواقب الفساد:

ينبغي التمييز بين نوعين من الفساد مع كونهما معا ممّا لا يحبّه الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[7]. فهناك فساد قد يبقى في إطاره الخاص ولا يعدو صاحبه وهذا من قبيل ذنوب بعض الناس بينهم وبين الله تعالى ولا يؤثّر سلباً في المجتمع ولا يساهم في إشاعة الفساد، وكذا فيما لو كان هذا المرتكب للفساد أيًّا كان نوعه ممّن ليس له خطر في المجتمع أو ذلك التأثير، فمثل هؤلاء يُؤمرون بالمعروف ويُنهون عن المنكر وفق الشروط الشرعيّة عسى أن ينفع الإرشاد معهم فينتهون ويتوبون، وعلى الواعظ أن يتذكّر دائماً قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لإمام الواعظين عليّ عليه السلام: "يا عليّ لأن يهدى الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس"[8].

وقد تحدّث القرآن الكريم والروايات الشريفة عن فساد يتجاوز حدود ما سبق ذكره فلا الذنوب والمفاسد في إطارها الضيق، ولا المرتكب هو ذلك الإنسان المغمور الّذي لا يُلتفت إليه بل هو يؤثّر فيكون لفساده عواقب وخيمة على المجتمع أو يؤدّي إلى شموله والمجتمع الّذي يعيش فيه بنقمة الله سبحانه، وهذا ما نوضحه ضمن العناوين التالية:

محاربة الحكومة الإسلاميّة الحقّة

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[9].

4- تفسير العيّاشي، ج1، ص 317.
5- سورة النحل، الآية: 88.
6- سورة الرعد، الآية: 25.
7- سورة القصص، الآية: 77.
8- المستدرك، الحاكم النيسابوري، ج3، ص598.
9- سورة الأنفال، الآية: 25.

فالآية تحذّر جميع المؤمنين عن فتنة تقوم ببعضٍ منهم خاصّة، وهم الظالمون غير أنّ سيّئ أثره يعمّ الكلّ ويشمل الجميع فيستوعبهم الذلّ والمسكنة وكلّ ما يترقّب من مرّ البلاء بنشوء الاختلاف فيما بينهم، وهم جميعاً مسؤولون عند الله، والله شديد العقاب. وفي الفتن الواقعة في صدر الإسلام ما تنطبق عليه الآية أوضح انطباق وقد انهدمت بها الوحدة الدينيّة، وبدت الفرقة ونفدت القوّة، وذهبت الشوكة على ما اشتملت عليه من القتل والسبي والنهب وهتك الأعراض والحرمات وهجر الكتاب وإلغاء السنّة ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾[1].

التجاهر بالمعاصي

المعصية محرّمة في السرّ والعلن، والعاصي في الحالتين يستحقّ العقوبة:

قال تعالى :﴿ذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُون[2].

﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[3].ولكن المتجاهر بالمعصية له شأن أعظم خطورة وهو المعلن معصيته أمام الملأ فإذا كان متجاهرا فعاقبته الخذلان وسرعة العقوبة:

عن الإمام الرضا عليه السلام: "المذيع بالسيئة مخذول، والمستتر بالسيّئة مغفور له"[4].وعن الإمام عليّ عليه السلام: "مجاهرة الله سبحانه بالمعاصي تعجّل النقم"[5].وإذا أصبح العصيان علنيّاً ظاهراً دونما رادع من خشية الله ولا خشية من القانون الإلهي والعقوبة فلم يردعه الناس ففشا المنكر فعندها تكون المصيبة عامّة:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "إنّ المعصية إذا عمل بها العبد سرًّا لم يضرّ إلّا عاملها، فإذا عمل بها علانية ولم يُغيّر عليه أضرّت بالعامّة"، قال الإمام جعفر بن محمّد عليهما السلام: "وذلك أنّه يُذلّ بعمله دين الله ويقتدي به أهل عداوة الله"[6].

وعن الإمام الصادق عليه السلام وهو يعدّد آثار الذنوب وعواقب ارتكاب هذه المفاسد: "الذنوب الّتي تغيّر النعم البغي، والذنوب الّتي تورث الندم القتل، والّتي تنزل النقم الظلم، والّتي تهتك الستور شرب الخمر، والّتي تحبس الرزق الزنا، والّتي تعجّل الفناء قطيعة الرحم، والّتي تردّ الدعاء وتظلم الهواء عقوق الوالدين"[7].

1- انظر: تفسير الميزان، بتصرّف: سورة الفرقان، الآية: 29.
2- سورة الأنعام، الآية: 120.
3- سورة الأنعام، الآية: 151.
4- بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج73، ص356.
5- غرر الحكم، ح 9811.
6- وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج16، ص136.
7- بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج73،ص374.

المطلب الثالث : صور ومظاهر الفساد والإفساد في الأرض

الفساد في الأرض

ورد هذا العنوان في أكثر من عشرين آية، منها قوله تعالى:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾[1].

ولو أنّ الإنسان استقام على الطريقة والتزم بمنهج الله لاستقامت الأمور في الأرض كما استقامت في السماء. قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾[2]

وما دام الحقّ قد رفع السماء ووضع الميزان، فالسماء لا تقع على الأرض والنظام محكم تماما، ويسير في منتهى الدقّة والإبداع، كما قال سبحانه: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[3].

نعم، الفارق بيننا كبشر مخلوقين وبين مخلوقات السماء من نجوم وكواكب أنّ الله خلقها وأجبرها على ما هي فيه من انتظام وليس لها أن تخالف عن أمره سبحانه.

بينما الإنسان قد أعطاه الله سبحانه الخيار وضرب له في الخلق نماذج استقامة وانتظام حتّى يتأسّى بها؛ فإذا أراد البشر أن تصلح حياتهم، وأن تستقيم أمورهم كما استقامت هندسة السماء والأرض فما عليهم إلّا أن يأخذوا الميزان القرآنيّ والنبويّ في أعمالهم، وأن يتبعوا قول الحقّ سبحانه:﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا﴾[4].

فإذا استقام الإنسان على منهج الله تعالى في حياته وصل إلى كمالاته وتحصّل له منها ما فيه المنى والمراد.

ولكن للأسف فإنّ كثيرا من البشر لم يكونوا على هذه الصفة فأفسدوا وخرّبوا في الأرض بعد إصلاحها، وكنتيجة حتميّة لهذا التخريب فإنّ بعض الأمور الطبيعيّة الّتي أثر بها الإنسان تتجّه اليوم بالأرض ومن عليها إلى الفناء؛ من إفساد للهواء وإفساد للمياه وإفساد للتراب، ناهيك عن الفساد الاجتماعي والسياسي والأخلاقي الّذي سيؤدّي أيضا بنتيجة حتميّة إلى خراب وفناء الوجود البشري، إن لم يكن هناك من يتصدّى له.

يقول سبحانه: ﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا﴾[5].

إنّ المطلوب من الإنسان الّذي أنيطت به خلافة الأرض كما قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أن يعمرها ويحفظها ويكون أميناً عليها، قال سبحانه:﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[6].

وإن لم يفعل ذلك ولم يحافظ على هذه النعم الّتي منحه الله إيّاه، فالعقاب الشديد بانتظاره، قال تعالى: ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[7].

1- سورة البقرة، الآيتان: 204 - 205.
2- سورة الرحمن، الآية: 7.
3- سورة يس، الآية: 40.
4- سورة الجنّ، الآية: 16.
5- سورة البقرة، الآية: 30.
6- سورة هود، الآية: 61.
7- سورة البقرة، الآية: 211

وقد تجلّى الفساد والإفساد في الأرض من خلال مظاهر عديدة ذكرتها الآيات القرآنيّة:

1 - الكفر والصدّ عن سبيل الله

قال الله تبارك وتعالى : ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُون﴾[1].

وهذا الصدّ عن سبيل الله يكون من خلال إضلالَ الناس وتشكيكَهم في دينهم وصرفَهم عن الطريق المستقيم، والعدولُ عن الحقّ بعد معرفتِه ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِين﴾[2]

ومن خلال البدع المخالفة لشرع الله: ورد في الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله: "لا ترجعنَّ بعدي كفاراً، مرتدّين، متأوّلين للكتاب على غير معرفة، وتبتدعون السُنّة بالهوى لأنّ كل سُنّة وحديث وكلام خالف القرآن فهو ردّ وباطل"[3].

2 - النِّفاق

قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُون﴾[4].

3 - قتل النفس

قال جلّ جلاله عن فرعون : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[5].

4 - بخس الموازين والتطفيف بالكيل

قال الله تبارك وتعالى على لسان شعيب: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِين﴾[6].

5 - قطع الأرحام

قال الله تبارك وتعالى : ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُم﴾[7].

6 - الإسراف ومجاوزة الحدّ في الغيّ والتمادي في المعاصي

قال الله تبارك وتعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِين﴾[8].

7- ارتكاب المنكرات والفواحش

قال الله تبارك وتعالى على لسان لوط: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَر﴾

فماذا كان جواب القوم المفسدين ﴿ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾

فكانت دعوته ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِين﴾[9].

1- سورة آل عمران، الآية: 63.
2- خصائص الأئمّة، للشريف الرضي، 75.
3- سورة النحل، الآية: 88.
4- سورة البقرة، الآية: 11.
5- سورة القصص، الآية: 4.
6- سورة هود، الآية: 85.
7- سورة محمّد، الآية: 22.
8- سورة البقرة، الآية: 60.
9- سورة العنكبوت، الآية: 30.

ويلاحظ من مجموع هذه العناوين وهي بعض من كلّ أنّها عامّة وتشمل جميع المناحي الإنسانيّة فهناك:
إفساد النفوس بالقتل وبقطع الأعضاء
وإفساد الأبدان بتعريضها للحرام والمفاسد وما يضرّها كشرب الخمور
وإفساد الأموال بالغصب والسرقة والربا وأكل المال بالباطل و...
وإفساد الأديان بالكفر والشرك والبدع والغلوّ والتشكيك و....
وإفساد الأنساب بسبب الإقدام على الزنا واللواط..
وإفساد العقول بسبب شرب المسكرات، والخمور ووسائل الإعلام.

وفي رواية عن الإمام الرضا عليه السلام - لمحمّد بن سنان فيما كتب من جواب مسائله- ذكر المفاسد المترتبة على جملة من الأفعال الّتي حرمها الله تعالى، فقال: "حرّم الله قتل النفس لعلة فساد الخلق في تحليله لو أحلّ، وفنائهم، وفساد التدبير... وحرّم الله تعالى الزنا لما فيه من الفساد من قتل الأنّفس، وذهاب الأنساب، وترك التربية للأطفال، وفساد المواريث، وما أشبه ذلك من وجوه الفساد. وحرّم الله عزّ وجلّ قذف المحصنات لما فيه من فساد الأنساب، ونفي الولد، وإبطال المواريث، وترك التربية، وذهاب المعارف، وما فيه من الكبائر والعلل الّتي تؤدي إلى فساد الخلق..."[1].

لذلك يجدر بنا القول بإنّ كثيراً من الأمور الإفساديّة والّتي ذكر بعض منها في القرآن الكريم وفي أحاديث السنّة الشريفة يدركها الإنسان بفطرته السليمة ويدرك سوءها وضررها وتأثيرها على نفسه ومجتمعه، ونتيجة لهذا الإدراك فإنّ عليه أن يبادر إلى مواجهتها وتركها وتأديب نفسه وتهذيبها ومن ثمّ نهي مجتمعه عنها حتّى لا يكون من الهالكين أو المهلكين بها، ولنعم ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "عجبت لمن يحتمي من الطعام مخافة الداء، كيف لا يحتمي من الذنوب مخافة النار!"[2].

1- الأمالي، الشيخ الصدوق، ص246.
2- من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج3 ، ص565

نتائج البحث

1- إن من الأساليب البيانية التي اعتمدها القرآن الكريم هو أسلوب القصة.
2- فائدة القصة تظهر من جهات عديدة فهي تشكل عبرة من خلال الاستفادة من تجارب السابقين، وهي أشد تأثيرا في النفوس، وأسهل في إيصال الفكرة للناس كافة.
3- الأهداف المنشودة قرآنيا من القصص هي: إثبات نبوة نبي الإسلام، وبيان وحدة الأديان الإلهية، وتثبيت قلوب المؤمنين.
4- مصطلح (الفساد) في القرآن الكريم لا يدل على ما هو متعارف عليه في أذهان عامة الناس، من أنّ كلمة الفساد تعني عدم الالتزام الشرعي، وبخاصة فيما يتعلق بموضوع الأحكام الشرعية، التي تتعلق بالسلوك الشخصي للإنسان، كشرب الخمر والزنى وعدم أداء الفرائض وسوء الأخلاق وما شابه. إن المعنى الذي يطرحه القرآن الكريم لهذا المصطلح، أوسع بكثير مما هو متعارف عليه في أذهان عموم الناس.
5- هناك شبه تلازم في القرآن الكريم بين مصطلح (الفساد) وبين كلمة (الأرض)، وإذا قمنا بعملية إحصائية بسيطة، فسوف نجد أن الكتاب الحكيم استخدم كلمة (الفساد) وتصريفاتها بحدود خمسين مرة، وفي جميع هذه الاستخدامات كان يرد اسم الأرض أو إشارة إليها، ما عدا إحدى عشرة مرة لم يرد فيها ذكر الأرض؛ لان الاستعمال كان في معرض وصف عمل المفسدين وعاقبته.

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.
2- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق مصطفى جواد، دار الفكر بيروت ، 1944م.
3- القصص القرآني، ا. د عبد الباسط بلبول ، القاهرة 74.
4- اللألى الحسان في علوم القرآن، موسى شاهين لاشين ، دار الشروق ، 2002م
5- الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ، محمد محمود حجازي، دار الكتب الحديثة ، 1970م
6- الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد احمد خلف الله ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية،1951
7- اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث ، مكتبة الشريف وسعيد رأفت للطباعة والنشر،1972م.
8- البيان القرآني، د. محمد رجب البيومي، الدار المصرية اللبنانية ، 2005م.
9- القاموس المحيط ، الفيروز ابادي ، علوم اللغة العربية .
10- سيكولوجية القصة في القرآن الكريم ، التهامي نقرة ، الشركة التونسية للتوزيع، 1974م.
11- مقدمة ابن خلدون ، العلامة عبد الرحمن بن محمد ، تحقيق، المستشرق الفرنسي ا.م. كاترمير، باريس ، 1858م، مكتبة لبنان علي مولا.
12- التصوير الفني في القرآن الكريم ، سيد قطب ابراهيم حسين الشاذلي، دار الشروق، القاهره.
13- معجم مقاييس اللغة، احمد بن فارس بن زكريا القزويني، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م.
14- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي،ابن منظور الانصاري، دار صادر- بيروت ،الطبعة الثالثة ، 1414 ه.
15- مفردات الفاظ القرآن ، ابو القاسم الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني، تحقيق، صفوان عدنان الداودي، دار القلم -دار الشامية ، دمشق بيروت ، الطبعة الاولى - 1412ه.
16- محمد الظاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر،1984م.
17- تفسير العياشي ، محمد بن مسعود العياشي، تحقيق ، الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة الاعلى للمطبوعات، بيروت - لبنان.

18- المستدرك على الصحيحين ، ابو عبد الله الحاكم النيسابوري ،تحقيق ، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ،بيروت - لبنان،1990 م.
19- الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الاعلى للمطبوعات، بيروت - لبنان ،
20- بحار الانوار، محمد باقر المجلسي ،مؤسسة دار الكتب الاسلامية ، ايران - طهران
21- غرر الحكم ودرر الكلم ، عبد الواحد التميمي الامدي ،تحقيق ، محمد سعيد الطريحي، دار القرآن للنشر ، بيروت - لبنان .
22- وسائل الشيعة، لشيخ محمد بن الحسن الحر العملي ، تحقيق، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث.
23- خصائص الأمة ، الشريف الرضي ابي الحسن بن الحسين بن موسى الموسوي، تحقيق وتعليق ، محمد هادي الاميني، مجمع البحوث الاسلامية، 1406ه.
24- الأمالي، الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي القمي ، تحقيق، مؤسسة البعثة، طهران ، 1417ه.
25- من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي القمي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت - لبنان.